# القياس النحوي في عصر ماقبل سيبويه خلاف أم اختلاف؟

**أ ـ خالد بوزياني**

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

إن المتتبع للدراسات النحوية في عصر ما قبل سيبويه يدرك أهمية القياس عند علماء النحو في تلك المرحلة، ومما يستدعي تدقيق النظر أيضا تلك التفردات التي تميز بها بعضهم، ونطالع في كتب تراجم النحويين أقوالا تشير إلى أن ابن أبي إسحاق الحضرمي كان شديد تجريد القياس[1]، وأنه مع تلميذه عيسى بن عمر يطعنان على العرب[2] ، وأن أبا عمرو بن العلاء أوسع علما بكلام العرب[3] ،وليونس بن حبيب قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها[4] ،والخليل بن أحمد سيد قومه وكاشف قناع القياس في عصره[5].

1 ـ ينظر ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء1/14

2 ـ ينظر المصدر نفسه 1/16

3 ـ ينظر المصدر نفسه 1/14

4 ـ السيوطي بغية الوعاة ص 426

5 ـ ابن جني الخصائص 1/361

فلو تصفحنا هذه الكتب بعناية وبحثنا بدقة عن معاني تلك الكلمات، لأمكننا القول بوجود تباين واختلاف في منهج وطريقة كل عالم في تطبيق القياس على مسائل النحو.

أما الاعتقاد بوجود خلاف بين العلماء في تلك المرحلة الحاسمة من الدرس النحوي فلم يكن واردا، ولذا يجب أن نزيل اللبس عن الفرق بين الخلاف والاختلاف، فالاختلاف يكون تلقائيا بدون قصد، فقد اختلف مع شخص ما في مسألة معينة وقد أخالفه فيها عن قصد، يقول ابن منظور:" الخلاف المضادة وقد خالفه مخالفة وخلافا...وخالفه إلى الشيء عصاه إليه أو قصد بعد ما نهاه عنه، وهو من ذلك في التنزيل العزيز؟وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه؟.." [6]

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن عصر ما قبل سيبويه لم يتوج بأي خلاف يذكر عدا بعض الاختلافات المنهجية التي يمكن أن نعدها نواة لبروز الخلاف المدرسي الذي ظهر في مرحلة لاحقة من الدرس النحوي، فليس من الموضوعي إذن أن نقول بنشأة الخلاف في مرحلة لم تكتمل فيها معالم الدرس النحوي ومصطلحاته، ولذا يمكننا أن نعتبر هذه الاختلافات خطوة نحو الخلاف.

وهنا لا أتفق مع الدكتور مختار أحمد ويرة حين قال:"...وهذا الخلاف كان يحدث بين أصحاب المذهب الواحد وتلاميذ المدرسة

6 ـ ابن منظور، لسان العرب مادة خلف 90/9

الواحدة، فسيبويه مثلا له بعض الملاحظات على أستاذيه الخليل ويونس ولذا نجد في كتابه(زعم الخليل وزعم يونس) وهذا القول ينم على خلاف في وجهة النظر التي أيدها الخليل أو يونس ولم يوافق عليها تلميذهم سيبويه"[7]، وهذا ماذهب إليه الدكتور سعيد الأفغاني حين قال:"أنت كثرا ما تجد سيبويه يورد لشيخيه يونس والخليل أقوالا يخالفها فيقول (زعم الخليل..زعم يونس)"[8].

إن هذه الآراء ليس لها أي أساس من الصحة، والاعتقاد بأن الفعل **زعم** معناه البعد عن الصواب والخطأ فهذا أيضا بعيد كل البعد عن الحقيقة اللغوية، فلو رجعنا إلى معاجم اللغة وجدنا أن الفعل **زعم** بمعنى قال، يقول ابن منظور:"الزعم..القول وقيل هو القول يكون حقا ويكون باطلا، وأنشد ابن الأعرابي لأمية في الزعم الذي هو حق:

**وَأني أَذينٌ لكم أنـــه سيُنجزكم ربكم ما زعم**[9]

ومن معاني زعم التكفل يقول ابن فارس:"زعم بالشيء إذا تكفل به، قال عمرو بن شاس:

**تعاتبني في الرزق عرسي وإنما على اله أرزاق العباد كما زعم**[10]

---

7 ـ مختار أحمد ويره، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء.ط1 دار قتيبة بيروت 1990 ص306

8 ـ سعيد الأفغاني، في أصول النحو ط.2 دار الفكر دمشق 1964 ص 176

9 ـ لسان العرب مادة زعم 264/12

10 ـ ابن فارس معجم مقاييس اللغة 10/3 وأيضا ينظر ابن منظور لسان العرب 265/12

وفي كتاب سيبويه أدلة قاطعة ورد فيها الفعل زعم لم يخالف فيها سيبويه الخليل ولا يونس،وسنكتفي هنا بدليل دامغ على ذلك، يقول سيبويه:"هذا باب يكرر فيه الاسم في حال الإضافة، ويكون الأول بمنزلة الآخر، وذلك قولك: يا زيدَ زيدَ عمرو ويا زيدَ زيدَ أخينا زعم الخليل رحمه الله ويونس أن هذا كله سواء وهي لغة لعرب جيدة، وقال جرير:

**يا تيمَ تيمَ عدي لا أبا لكم لا يلقينكم في سوءة عمر"**[11]

وعلى هذا فإنني أميل إلى ذهب إليه الدكتور أحمد مكي الأنصاري، حين رأى أن المدرسة البصرية قد اشتملت على تيارات ثلاثة، إلا أنني أتفق معه لما اعتبرها مدارس مستقلة بقوله:"فهذه التيارات أشبه ما تكون بالمدارس المتعددة داخل المدرسة البصرية الواحدة"[12]، ثم يقول في موضع آخر :"..كل تيار منها يمثل مدرسة مستقلة داخل المدرسة البصرية الأم"[13].

فلا يمكننا إذن اعتبار وجود مدارس نحوية مستقلة في هذه الفترة المبكرة من الدرس النحوي، فالمدرسة تحتاج إلى زمن طويل ومحاولات متتابعة لنضوج المنهج وظهور المبادئ العامة في صياغاتها النهائة.

11 ـ سيبويه الكتاب 205/2

12 ـ أحمد مكي الأنصاري، يونس البصري ص 67

13 ـ المرجع نفسه ص78

ومما يستدعي الاهتمام هو ما أشار إليه الدكتور أحمد مكي الأنصاري عندما رأى أنه كان يوجد في البصرة ثلاثة تيارات متباينة النظرة إلى القياس، وهذه التيارات هي: [14]

**أ- التيار القياسي :** بزعامة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وتلميذه عيسى بنة عمر وأبرز خصائص هذا التيار تجردي القياس وعد الأخذ بالمسموع إذا خالفه .

**ب- التيار المنهجي :** بزعامة أبي عمر و بن العلاء وتلميذه يونس بن حبيب ومن أهم دعائمه التقيد بالنصوص والتمسك بالسماع ولو بأقل الشواهد ، فهو لا يخرج عن طبيعة اللغة.

**ج- التيار الخليلي :** ويمثله الخليل بن أحمد وتلميذه وسيبويه ويشترك مع التيار القياسي في اصطناع القياس والميل إليه ولكنه يختلف معه في استخدامه .

إن هذا التقسيم معقول إلى حد بعيد لكن إذا ما نظرنا بعمق إلى كل تيار وجدناه لا يتقيد بالمنحى الذي رسمه لنفسه ، فالدكتور أحمد كي الأنصاري وضع ما يشبه الحدود الفاصلة بين هذه التيارات دون أن يشير إلى النقاط المشتركة أو التداخل بينها ، ولذلك فإنني سأعتمد على موازنتين لتوضيح الاختلافات والتداخلات بين التيارات البصرية في تطبيق القياس في عصر يونس بن حبيب .

14 - ينظر المرجع نفسه ص322

## الموازنة بين التيارات الثلاثة من حيث الاختلافات :

### التيار القياسي :

ابن إسحاق الحضرمي : ذكر أصحاب تراجم النحويين أن أول من بعج النحو مد القياس وشرح العلل [15] وكما أشرت سابقا فإن أبي إسحاق لا يعتبر مبتكر القياس النحوي ، وإنما هو أول من شقه وفرعه ، فكلمة بعج تفيد التوسع وكلمة مد ، معناها طول ، فنقول مد الله في عمره طول له [16] ، وبهذا يصبح المعنى من العبارة توسيع دائرة القياس ، وعلى هذا الأساس يعود الفضل إلى ابن أبي إسحاق في اهتدائه إلى المفتاح السحري المؤدي إلى الطريق الذي ينبغي أن يسلكه النحاة في التعامل مع المادة النحوية ، كما أنه تفطن إلى أن هناك ظواهر في اللغة العربية تحكمها قوانين جامعة وعلى حد تعبير الطمتور منى إلياس : " أن النحو قبل الحضرمي كان مستغلقا على من تقدمه فهم لا يقعون فيه إلا على ظواهر لا ينفذون منها إلى حقائقه ، ويظهر أن حقيقة الدور الذي اضطلع به ابن إسحاق أنما هو التنبه إلى هذا المبدأ الأساسي من التفكير العلمي وإن كان لم يتوصل إلى كبير شيء في باب تقنين القوانين النحوية " [17] .

---

15 ـ ينظر الزبيدي : طبقات النحويين ، واللغويين ص 32

16 ـ الرازي : مختار الصحاح مادة ( مدد) ص 392

17 ـ د.منى إلياس : القياس في النحو ، ص 12 .

**بعض الأمثلة عن قياس عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي :**

سأكتفي هنا ببعض الأمثلة التي وردت في كتب التراجم والتي اتضحت فيها بعض معالم قياسه :

**أ. لقد طعن ابن أبي إسحاق على الفرزدق في مدحه لأمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك**

**مستقبلين شمال الشام تضربنا  بحاصب كنديف القطن منثور**

**على عمائمنا يلقى وأرحلنا  على زواحف تزجي مخها رير**

" قالت أسأت إنما: ' مخها رير ' وكذلك قياس النحو في هذا الموضع ، قال يونس والذي قال جائز 'حسن' " [18] .

لقد اعتبر ابن أبي إسحاق جملة " مخها رير " بالرفع على أساس أنها جملة مؤلفة من مبتدأ وخبر وعليه فإن الجر في "رير" خطأ ، ولكن يونس ينظر إلى الجملة نظرة أعمق حين يقرر أن هذه الجملة صحيحة ، ويعلل ذلك بوقوع التقديم والتأخير والترتيب المنطقي للعبارة " رير مخها "

**ب ـ وقد طعن ابن أبي إسحاق على الفردزدق أيضا في قوله :**

**وعينان قال الله كونا فكانتا  فعولان بالألباب ما تفعل الخمر**

" فقال ابن أبي إسحاق : ما كان عليك لو قلت فعولين فقال الفرزدق : لو شئت أن تسبح لسبحت ... أي لو نصبت لأخبر أن الله

18 ـ د.منى إلياس القيس في النحو ص 12 .

خلقهما وأمرهما أن تفعلا ذلك ، وإنما أراد أنهما تفعلان بالألباب ما تفعل الخمر ، و (كان) هنا تامة غير محتاجة إلى خبر ، فكأنه قال : وعينان قال الله : أحدثا فحدثتا أو أخرجا إلى الوجود فخرجتا "[19].

**ج - رأي ابن أبي إسحاق أن الفرزدق أخطأ في قوله :**

**فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى موالياً**

في هذا البيت هجاء لابن إسحاق ولكنه لم يلتفت إليه ولم يعبأ به لاحظ الخطأ الوارد في البيت فالقياس عند حذف الياء كقولنا " **مريت بجوار** " وهنا "**مولى موال** " ، وعند بعض العرب تجر نحو " جواري " بالفتحة مثل " مررت بجواري " كما قال الفرزدق [20] ، وروة سيبويهعن يونس بيتا :

**قد عجبت منّي ومن يعليا لمّا رأتني خلقا مقلوليا**

كما استشهد سيبويه ببيت آخر للكميت :

**خريع دودي في ملعب تأزر طورا وتلقي الإزارا** [21]

فيونس على هذا الأساس يجوز قول الفرزدق مواليا [22] ما دام وارد في كلام العرب أما ابن أبي إسحاق فقد جرد القياس بدون أن يلتفت إلى الاستعمال والسماع.

---

19 - ابن جني : الخصائص 302/3

20 - ينظر الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص 32 ينظر أيضا هامش 32

21 - سيبويه : الكتاب 314/3 ينظر أيضا : ابن عصفور : ضرائر الشعر تحقيق السيد إبراهيم ط2 دار الأندلس بيروت 1982 ، ص 42 .

22 - ينظر ابن يعيش : شرح المفصل عالم الكتب بيروت مكتبة المتنبي القاهرة 64/1

**من قياس عيسى بن عمر:**

لقد سار عيسى بن عمر على منهج أستاذه ابن أبي إسحاق في الطعن على العرب وتخطئة الشعراء وهذه أمثلة من ذلك :

**أ ـ طعنه على النابغة في قوله :**

**فبت كأني ساورتني ضئيلة  من الرقش في أنيابها السم ناقع**[23]

يرى عيسى بن عمر أن النابغة أساء في رفع "ناقع" والصواب عنده " ناقعا " وروى سيبويه هذا البيت في الكتاب شاهدا على إلغاء الظرف إذا تقدم ويكون "السم " مبتدأ و "ناقع " خبر ، يقول سيبويه " ... وذلك قولك : فيه عبد الله قائما وعبد الله فيها قائما ، فعبد الله ارتفع بالابتداء .... وإن شئت ألغيت فيها فقلت : فيها عبد الله قائم ، قال الهذلي :

**لا در دري وإن أطعمت نازلكم  قرف الحمى وعندي البر مكنوز**

كأنك قلت : البر مكنوز عندي وعبد الله قائم فيها " [24]

**ب ـ الزانية و الزاني فاجلدوا " [25] :**

وقد قرأ عيسى بن عمر " الزانية والزاني " بالنصب وكذا قرأ بن أبي إسحاق وهو خلاف ما قرأ به القراء [26] والنصب هنا على أساس فعل

---

23 ـ الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص 41.

24 ـ سيوبه : الكتاب 89/1

25 ـ سورة النور الآية 2

26 ـ ينظر الزبيدي طبقات النحويين واللغويين ص 33

مضمر أي اجلدوا الزانية والزاني ، يقول سيبويه معلقا على هذه القراءة " و قرأ أناس " **والسارق والسارقة** " [27] و "الزانية والزاني" وهو في العربيـة على ما ذكـرت لـك من القوة ولكن أبت العامة إلا القراءة بالرفع " [28].

**ج ـ ما لا ينصرف من الأفعال إذا سميت ره رجلا :**

لم يكن عيسى بن عمر يصف الأسماء التي تأخذ محال الأفعال لكن سيبويه يقرر بأن رأي عيسى خلال قول العرب يقول : سمعناهم يصرفون الرجل يسمى كعبسا وإنما هو فعل من الكعسبة ، وهو العدو الشديد مع تداني الخطأ والعرب تنشد هذا البيت لحسيم بن وثيل اليربوعي :

**أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني**

ولا تراه على قول عيسى ولكنه على الحكاية " [29]

فكلمة "**جلا**" في هذا البيت غير متصرف عند عيسى بن عمر فهو منقول من الفعل أما سيبويه فيراه جملة محكية أي : أنا ابن الذي يقال له جلا، وعلى هذا يكون "جلا" مفعول به منصوب .

---

27 ـ سورة المائدة الآية 38

28 ـ سيبويه : الكتاب 142/1 .

29 ـ المصدر نفسه 207/3 .

**د ـ ( هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ):**

قرأها عيسى بن عمر بالنصب واتبع في ذلك قراءة ابن أبي إسحاق الحضرمي وعلق الزبيدي على هذه القراءة بقوله " وهذا مخالف لما قاله النحويون أجمعون ، وبما قرأ به القراء ، وأنكرها أبو عمرو عليه، فقال : كيف تقول هؤلاء بني هم ماذا ؟ فقال عشرين رجلا ، فأنكرها أبو عمرو " [30] .

**أبرز خصائص التيار القياسي :**

يمكننا أن نستخلص مما سبق الخصائص الآتية :

التجريد الكامل للقياس :

من خلال الأخبار التي وصلتنا وعن الآراء لابن أبي إسحاق الحضرمي وهي قليلة إذ أنه لم يترك أثرا إلا كتابا في الهمز لم يصل إلينا، فإنه يمكننا لمس بعض قياساته النحوية ، وأهمها تجريد القياس فتعرضه لتخطئة ابن سيرين [31] في قراءته للآية الكريمة " **إنما يخشى الله من عباده العلماء**" [32]، وتخطئته للفرزدق في عدة مناسبات يدل على حرصه الكامل على الالتزام بالقاعدة المستقرة من كلام العرب ، إن هذا التشدد له علاقة بظروف بداية الدرس النحوي ، ونرجع فنقول إن

30 ـ الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص 41

31 ـ ينظر ص 50 – من هذا البحث

32 ـ سورة فاطر الآية 28

من الأولويات التي كان ينشدها هذا التيار الحرص على التقيد الصارم بالقياس لأنه هو الوحيد الذي يجعل القاعدة مطرودة والتي لا يجوز الخروج عنها.

**الطعن على العرب وتخطئة الشعراء الجاهلين :**

لاحظنا من خلال الأمثلة السابقة أن الهدف المنشود لهذا التيار هو ضرورة الالتزام بالقانون المستنبط من كلام العرب وحتى الشعراء الجاهليون كان عليهم التقيد بسنن العرب في كلامها وكل الخروج على هذه السنن يعتبر لحنا ، ولكن سيبويه أدرك وجه الصواب في قول النابغة " **ناقع** " [33] وهنا ندرك أن التيار القياسي كان يجرد القياس دون أن يحاول إيجاد منافذ لبعض التراكيب .

**عدم الاهتمام بالمسموع قد الاهتمام بالقياس :**

إن السؤال الجدير بالطرح في هذه الخاصية هو: هل كان لابن إسحاق علم بكلام العرب ؟ يتضح لنا من خلال ما سبق أن ابن أبي إسحاق لم يكن في زمرة الذين رووا عن العرب ، وليس له دراية واسعة بكلامهم مما جعله يتمسك بالقياس ، والدليل على ذلك أنه في تخطئته للفرزدق في " **مولى مواليا** " حكم القياس دون أن يرجع ذلك إلى

33 ـ ينظر ص 70 ـ من هذا الحث

السماع فقد رأينا أن سيبويه استشهد بعدة أبيات على غرار ما ذكر الفرزدق .

## التيار المنهجي :

### أو عمرو بن العلاء :

قيل عنه: إنه كان أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها من عبد الله بن أبي إسحاق وكان من جلة القراء [34]، إن هذا القول يحمل عدة مفارقات بين أبي إسحاق وأبي عمرو بن العلاء أهمها الفرق المنهجي فإذا كان ابن أبي إسحاق يجرد القياس ويطعن على العرب فإن أبا عمرو كان يلجأ إلى ما قالته العرب ولا يطعن على كلامها وقد امتاز بدقة السماع ، والتعليل الصائب بالرجوع إلى كلام العرب إضافة إلى سعة بديهيته " عن الأصمعي أن سأل الخليل في قول الشاعر :

**حتى تحاجزن عن الذود  تحاجز الري ولم تكادي**

لم تكادي ولم يقل لم تكد ؟ قال طحن يوما أجمع ، ثم سأل أب عمرو بن العلاء فقال : ولم تكادي أيتها الإبل " [35] .

34 ـ ينظر في طبقات النحويين واللغويين ص 35

35 ـ المصدر نفسه ص 38

**بعض الأمثلة عن قياس أبي عمرو بن العلاء :**

**أ. لتخذت عليه أجرا** [36] :

عن أبي عبيدة قال سمعت أبا عمرو ابن العلا يقرأ **( لتخذت عليه أجرا )** فسألته فقال : هي لغة فصيحة وأنشد قول الممزق العبدي :

وقد تخذت رجلي إلى جنب غرزها  نسيفا كأفحوص القطاةالمطرق"[37]

فقد قاس أبو عمرو قراءته على ما سمع من كلام العرب وعلل ابن الأنباري ذلك قائلا " قرئ : لتخذت بالتخفيف و لاتخذت بالتشديد ، فمن قرأ بالتخفيف جعله من تخذت وأدخل اللام التي هي جواب لو على التاء هي فاء الفعل وقد حكى أهل اللغة تخذت اتخذ " [38].

ويقول بن جني " وذهب أبو إسحاق إلى أن اتخذت كاتقيت واتزنت وأن الهمزة أجريت في ذلك مجرى الواو ، وهذا ضعيف ... والذي يقطع على أبي إسحاق قول الله عز وجل **( قال لو شئت لتخذت عليه أجرا )** فكان أن اتجه ليس من لفظ الوجه كذلك ليس تخذ من لفظ الأخذ "[39].

وهكذا يتبين لنا أن أبا عمرو يقيس على المسموع ولا يكتفي بذلك بل يصحح القراءة بما سمع وبما قالته العرب كما يتضح ذلك في المثال الآتي:

---

36 ـ سورة الكهف الآية 77

37 ـ السيوطي والأشباه والنظائر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ( د ت ) 3 / 113

38 ـ ابن الأنباري : البيان في إعراب القرآن ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر 1970 2/114 –

39 ـ ابن جني : الخصائص 287/3 .

**ج ـ ( عزيز ابن الله )[40] :**

" قرأ أو عمرو بن العلا " عزيز" بدون تنوين لأنه جعل " **ابن الله**" صفة لـ " عزيز " والخبر محذوف ، والتقدير" **عزيز ابن الله الهنا** " وهذا معروف عند العرب فهم يحذفون التنوين من الاسم العلم الموصوف " بابن " المضاف إلى العلم لالتقاء الساكنين وهما التنوين وباء " بابن " مع كثرة الاستعمال الداعية إلى التخفيف "[41] .

ولنستمع إلى ابن الباري معلالا بذلك بقوله " ومن قرأ بغير تنوين ففيه ثلاثة أوجه : الأول : أن يكون عزيز مبت«ا ، وابن خبره ، وحذف التنوين لسكونه ويكون الباء من ابن كقراءة من قرأ ( أحد الله الصمد ) فحذف التنوين لسكونه وسكون اللام .

والثاني : أن يكون جعله قوله : ابن الله صفة لـ عزيز وابن الله إذا كان صفة لعلم مضافا إلى علم حذف التنوين من الأول كقولك زيد بن عمر فعلى هذا يكون عزيز مبتدأ وابن صفة وخبره المبتدأ والمحذوف وتقديره : وقالت اليهود عزير بن الله معبودهم وحذف الخبر للعلم به كما يحذف المبتدأ للعلم به .

والثالث : أن يكون عزيز غير منصرف للعجمة كإبراهيم وإسماعيل وهذا أصف الوجوه "[42]

---

40 ـ سورة التوبة الآية 30

41 ـ ابن عصفور : ضرائر الشعر ص 106 .

42 ـ ابن الأنباري : إعراب القرآن 1 / 396 .

**د ـ (من خلف):**

كان أبو عمرو يقول " **داري من خلف دارك فرسخان** " حيث جعل خلف مجرور بمن ووصف سيبويه هذا الرأي بالقوة حيث قال " فشبه بقولك دارك مني فرسخان لأن خلف ههنا اسم وجعل من فيها بمنزلتها في الاسم وهذا مذهب قوي "[43] .

**يونس بن حبيب :**

بما أنني سأتناول قياس يونس بالتفصيل فإنني سأكتفي هنا بمثالين فقط لتكتمل حلقة التيار :

**أ ـ عطف النعوت :**

روى سيبويه عن يونس أنه قال " مررت بزيد أخيك وصاحبك " فصاحبك معطوفة على زيد يؤيد هذا شاهد من الشعر :

**بأعين من مليحات النقب  شكل التجار وحلال المكتسب**

وهذا وارد في كلام العرب كما أكد ذلك سيبويه بقوله " كذلك سمعناه من العرب "[44].

**ب ـ ( إذا دعي الله وحده كفرتم ):**

يرى يونس في "وحده" من قوله تعالى " **ذلكم إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا** "[45] أن ينتصب على الظرف تقديره " **دعي**

43 ـ سيبويه : الكتاب 417/1

44 ـ المصدر نفسه 67/2

45 ـ سورة المؤمنون الآية 12 .

**على حياله وحده** " وهو مصدر محذوف الزيادة والفعل من أوحدته إيحاد [46].

**أبرز خصائص التيار المنهجي :**

يمكننا أن نستنتج من خلال ما سبق بعض السمات الأساسية لهذا التيار وألخصها في ثلاث نقاط .

**عدم الطعن على العرب :**

لقد قيل عن أبي عمرو بن العلاء أنه أوسع بكلام العرب [47] إذ يعتبر من الرواة الموثوق بهم ومن جلة القراء ، وكان تلميذه يونس بن حبيب أيضا واسع الدارية بكلام العرب وأيامها وأخبراها ، هذه المعطيات كلها جعلت أصحاب هذا التيار يسلكون مسلكا يعتمدون فيه على احترام النص المسموع، ويرتكزون على معرفة اللغة العربية وخصائصها وأسرارها، وربط الأشعار بمناسبتها ومعرفة أحوال أصحابها مما جعلهم يسلمون للعرب ولا يطعنون عليها ، فإذا ورد تركيب مخالف للقياس يحاولون النظر في إمكانية تحويله لمعرفة أسبابه كما كان الحال بالنسبة لموقف يونس من تدخل ابن أبي إسحاق في تخطئة للفرزدق في الجملة : " **مخها رير** " [48]

---

46 ـ العكبري : التبيان في إعراب القرآن 116/2

47 ـ ينظر : ابن سلام : طبقات الشعراء 14/1 .

48 ـ ينظر ص -68- من هذا البحث .

**الاعتماد على الشواهد :**

يضاف إلى ما سبق اعتماد أصحاب هذا التيار على الشواهد من كلام العرب ولو بشاهد واحد ما دام قد تثبت في اللسان العربي ، غير أن أبا عمرو بن العلاء كان أكثر تحفظا في استعمال الشواهد فقد كان يقيس على الأكثر ويسمى ما خالفت لغات [49]، أما يونس فقد اعتمد على الوارد من الشواهد متى تبث في كلام العرب .

**الاعتماد على طبيعة اللغة :**

ذلك باستقراء كلام العرب وعدم القول بلغة رديئة فكل لغات العرب حجة ثم محاولة التفسير التراكيب النحوية ، دون اللجوء إلى تجريد القياس أو اصطناعية بحيث يؤثر سلبا على النتائج المرجوة من ذلك .

**التيار الخليلي :**

يضم هذا التيار خليل بن أحمد وتلميذه سيبويه ، أما تسميته بالتيار الخليل فنسبة إلى الخليل بن أحمد الذي عرف بالفطنة والذكاء الخارق والبديهة الصائبة كما يعتبر المثبت الأساسي لنظرية العوامل في النحو العربي، وقد سبقت الإشارة إلى هذه النظرية وعلاقتها بالقياس النحوي[50].

---

**49** ـ ينظر الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص 39

**50** ـ ينظر ص ـ55ـ من هذا البحث

**من قياس الخليل :**

**( يا جبال أوبي معه والطير ) :**

كان عيسى بن عمرو وأبو عمر بن العلاء يقرآن " **الطيرَ** " بالنصب ولكن يختلفان في التأويل فعيسى يرى أنه على النداء كما تقول "يازيد" و "**يا الحارث**" وقال أبو عمرو: لو كان على النداء لكان رفعا، ولكنهما على إضمار: "**وسخرنا الطير**" لقوله على إثر هذا: "**ولسليمان الريح**"[51] أي " **وسخرنا الريح**"[52] .

أما الخليل فيرى بأن القياس المعطوف في هذه الحالة الرفع، قال سيبويه: "فأما العلرب فأكثر ما رأيناهم يقولون: يا زيدُ والنضرُ وقرأ الأعرج "**يا جبالُ أوبي معه والطيرُ**" فرفع، ويقولون: يا عمرُو والحارثُ، مقال الخليل رحمه الله هو القياس كأنه قال: ويا حارثُ" [53] .

**ب ـ أيهن:**

قال سيبويه: "سألت الخليل رحمه الله عن قولهم: أيهن فلانة وأيتهن فلانة، فقال: إذا قلت أيٌّ فهو بمنزلة كل لأن كلا مذكر يقع على للمذكر والمؤنث وهو أيضا بمنزلة بعض"[54] ، فقد قاس الخليل أي على كل وبعض.

---

51 ـ سورة سبأ الآية 12

52 ـ ينظر الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص 41

53 ـ سيبويه الكتاب 187/2

54 ـ المصدر نفسه 407/2

**خاتمة:**

يتبين لنا من خلال ما سبق أن التيارات النحوية كانت بمثابة القاعدة التي تأسس عليها الدرس النحوي العربي، أما مسألة الخلاف المدرسي فقد وجد بذوره في المدرسة البصرية التي كانت قد أسست الأصول الأولى للنحو العربي.